الإشارات التربوية في سورة التوبة " دراسة موضوعية تطبيقية"[1]

مرزوق علي علي الرصاص[1]، خالد نبوي سليمان [2]

الملخّص

تتناول هذه الدراسة الإشارات التربوية في سورة التوبة (دراسة موضوعية تطبيقية)، حيث إن إشكالية البحث تمثلت في افتقار الأمة الإسلامية إلى منهج تربوي رباني يكون سببًا في حل مشاكلها واختلافاتها، وإعادة مجدها وكرامتها.وهذا البحث محاولة لاستنباط بعض الإشارات التربوية، وبيان أهم ما ورد في سورة التوبة من إشارات تربوية قيمة لا يستغني عنها المسلم، والوصول إلى هدف الدراسة والمتمثل في بيان مكانة وأهمية هذه السورة العظيمة، واستنباط وإيضاح ما في السورة من إشارات تربوية في الجانب العقدي والتعبدي والأخلاقي، والتعرف على أهم الآثار الناتجة عن تطبيق هذه الإشارات وربطها بواقعنا المعاصر، وتطبيقها في الميدان التربوي، حيث اتبع الباحث المنهج الوصفي (الاستنباطي – التحليلي)، حيث كان من أهم نتائج البحث اشتمال القرآن الكريم على إشارات التربوية في جوانب مختلفة يعود نفعها على الفرد والمجتمع، كما أن قيام الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع بدوره المناط به من تطبيق هذه الإشارات التربوية الحميدة في سورة التوبة سيعود بالخير والفلاح والتربية الحسنة والاستقرار النفسي للجميع، بل سيسعدون بذلك في الدارين.

الكلمات المفتاحية: الإشارات التربوية، سورة التوبة، التطبيق.

[1] هذا البحث مستل من رسالة ماجستير نوقشت في قسم التفسير وعلوم القرآن، كليّة العلوم الإسلامية ، جامعة المدينة العالمية

[2] طالب ماجستير ، قسم التفسير وعلوم القرآن، كليّة العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالميةarsas43211@gmail.com .

[3] أستاذ مشارك، قسم التفسير وعلوم القرآن، كليّة العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية khaled.nabawy@mediu.my.

the pedagogical signals in Surah al-Tawbah (an objective and applied study)

Marzoq ali ali al- rassas &Khaled Nabawi Suliaman

Abstract

This study deals with educational references in Surat al-Tawba (an objective and applied study), as the problem of research was the lack of the Islamic nation in the curriculum of the Lord to be the cause of solving its problems and differences, and restore its glory and dignity.This research is an attempt to devise some educational references, and to indicate the most important in the repentance of the educational references are indispensable to the Muslim, and to reach the goal of the study, which is to indicate the status and importance of this great Sura, and to develop and clarify the educational references in the nodal, devotional and moral And to identify the most important effects resulting from the application of these signals and link them to our contemporary reality, and applied in the educational field, where the researcher followed the descriptive method (deductive - analytical), where one of the most important results of the research included the Koran on educational references in various aspects beneficial to the The individual, the family, the school, and the community in the role entrusted by the application of these benign educational references in Surat al-Tawba will bring good, peasant, good education and psychological stability to all, but they will be.

Keywords: Signals educational, Surat Al - Tawbah, application

المقدمة:

القرآن الكريم هو عمدة رسالة النبي الخالدة عبر القرون والأزمان، لا يخلق ولا يتبدد؛ لأنه منزل من عند الله الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾[الحِجر:9]

فلقد أنزل الله القرآن كاملًا شاملًا مفصلًا فيه جميع نواحي الحياة، بما فيها الحياة التربوية، حيث قال الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[الأعراف:52]

وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون﴾[الأنعام: من الآية 38]، ولهذا فهو منهج شامل يبين كل جوانب الحياة وما يحتاجه الإنسان من معرفة تحدد له أطر العلاقة بربه ونفسه ومجتمعه، وهو كتاب تربية يضم أسمى وأرفع القيم الأخلاقية التي ترتقي بالإنسان وتجعله مؤهلًا لمسؤولية خلافة الله في الأرض.

ورسول الله هو المربي الأول لهذه الأمة بالقرآن، فقد أشرف على تربية جيل من الناس وحوّلهم من البيئة الشركية المظلمة إلى البيئة الإسلامية المنيرة التي تستقي عقيدتها وقيمها من كتاب ربها وسنة نبيها ، فتغيرت معادلة الحياة وظهر جيل جديد فريد من نوعه لم يشهد التاريخ له مثيلًا حتى الآن، **قال تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِين﴾[الجمعة:2]

ولهذا كان للقرآن أثر تربوي في نفس الرسول وصحابته الكرام؛ فالقرآن الكريم قد ترك أثرًا لا شك فيه في تربية نفس رسول الله وصحابته الكرام ، وقد شهدت بذلك السيدة عائشة زوج رسول الله ، فقد جاء في حديث طويل في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، وأتى عائشة رضي الله عنها يسألها عن بعض المسائل، «فقال: فَقُلتُ: يَا أُمَّ المُؤمِنِينَ! أَنبئِينِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَت: أَلَستَ تَقرَأُ القُرآنَ؟ قُلتُ: بَلَى. قَالَت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ القُرآنَ »[3].

بل إن شهادة الحق قد سبقت كل شهادة، **قال تعالى** : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[الفرقان:32]

فهنا إشارتان تربويتان:

الأولى: تثبيت الفؤادِ وترسيخ الإيمان.

---

[3] مسلم، في **الصحيح**، كتاب الصلاة، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (513/1)، برقم (139).

والثانية: تعليم الترتيل في قراءة القرآن.

وفيها نزلت توصيات تربوية صريحة من الحق إلى رسوله محمد ، وذلك في **قوله تعالى**: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(القيامة: ١٦ – ١٩) .

ولهذا كان لزامًا علينا أن نسير على درب وطريق المربي الأول والاقتداء والتأسي به وبسنته المطهرة، فالاقتداء أساس الاهتداء، كما **قال تعالى**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:21] .

قال ابن كثير رحمه الله[4]: "هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أُمِرَ الناسُ بالتأسي بالنبي يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه"[5].

فمنهج الإسلام يحتاج إلى بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته، فيحوّله إلى واقع عملي محسوس وملموس، ولذلك بعث بعد أن وضع في شخصيته الصورة الكاملة للمنهج؛ ليترجم هذا المنهج ويكون خير قدوة للبشرية جمعاء.

هذه الوصية هي خلاصة حل مشاكل أمتنا التي استفحلت، فلا فلاح ولا عصمة ولا نجاة ولا مخرج لهذه الأمة إلا إذا تمسكت بكتاب الله وبسنة نبيه المطهرة، واعتصمت بهما، وجعلتهما منهج حياة تتربى عليهما، يقول النبي ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »[6] ، فهما الفرقان الواضح والبرهان اللائح بين الحق والباطل، ومن ظن يومًا أن السعادة والفلاح في غيرهما فقد خاب ظنه وخسر مآله.

وحتى يتحقق ذلك وتجني الأمة ثمار الأخذ بالقرآن الكريم كان لزامًا وضروريًا الوقوف على المبادئ والقيم والسمات المتضمنة في القرآن الكريم، وتفعيلها في حياة الفرد والأسرة والمجتمع بواقع عملي على حد سواء، وتطبيقها على أرض الواقع، سلوكًا وعملًا، ولا يكون ذلك إلا بعد التدبر والتأمل

---

[4] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، أبو الفداء، الإمام الحافظ الحجة المحدث المؤرخ، صاحب التصانيف الرائعة المشهورة، ومنها: "تفسير القرآن العظيم" الذي يعد من أشهر كتب التفسير إن لم يكن أشهرها، و"البداية والنهاية" وغيرها، تأثر بشيخه ابن تيمية واستفاد منه كثيرًا، توفي سنة (774هـ). يُنظر ترجمته في: **الدرر الكامنة** (445/1)، **طبقات المفسرين** للداوودي (111/1)، **البدر الطالع** (153/1)، **شذرات الذهب** لابن العماد (67/1).

[5] ابن كثير، إسماعيل بن عمر ، **تفسير القرآن العظيم** ، ط2، (391/6).

6 الحاكم ، محمد بن عبدالله، في"**المستدرك على الصحيحين**"، كتاب العلم (172/1)؛ برقم (319) ، قال الشيخ الألباني: صحيح. يُنظر: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**, (566/1)؛ برقم (2937).

واستخراج الإشارات التربوية وتقديمها بإسلوب سهل؛ ليتسنى للآخرين تطبيقها عمليًا في شتى جوانب الحياة المختلفة.

وانطلاقًا من هذا الباب الذي هو أحبُّ الأبواب إلى قلبي؛ كان من توفيق الله أن أبحث في هذا المجال، ومن باب الشعور بالمسؤولية الكبرى على طلبة العلم، ثم من إشارة جامعة المدينة العالمية الموقَّرة؛ أفردت هذه الرسالة في "**الإشارات التربوية في سورة التوبة**"، أستلهم من الآيات المواعظ والعبر والمبادئ والقيم والسمات المتضمنة في هذه السورة بأسلوب سهل؛ ليتسنى تطبيقها على أرض الواقع.

لا سيما أن هذه السورة العظيمة تضمنت إشارات تربوية كثيرة في عدة مجالات الحياة.

مشكلة البحث:

إن إعراض الأمة عن كتاب الله وعدم تدبر معانيه وتطبيق ذلك في حياتها؛ سبب لها الكثير من المشاكل والخلافات التي تراكمت في كل جوانب الحياة، ما أدى إلى انعكاس سلبي خطير يهدد دينها ودنياها، وحاضرها ومستقبلها، ولهذا فمن اللازم علينا أن نقف مع أنفسنا وقفة جادة، وأن نتساءل جملة من الأسئلة المشروعة التي تفتح المخرج المناسب لتلك الأزمات المتتالية طيلة عقود من الزمن، فمشكلة البحث تدور حول الإجابة على أسئلة البحث التالية:

أسئلة البحث :

1- ما الإشارت التربوية المستنبطة من سورة التوبة في الجانب الأخلاقي؟
2- ما هي مكارم الأخلاق التي وردت في السورة؟
3- ما أثر تطبيق هذه الإشارات التربوية في صلاح الفرد والمجتمع ونجاتهما؟
4- ما هي الصفات الذميمة التي ورد النهي عنها في السورة والآثار الناتجة من الابتعاد عنها على الفرد والمجتمع؟
5- ما أهمية الرجوع إلى الكتاب والسنة؟

أهداف البحث:

1- استنباط الإشارات التربوية في الجانب الأخلاقي من خلال السورة.
2- التعرف على أهم الآثار الناتجة عن تطبيق الإشارات التربوية المستنبطة من السورة، وربط هذه الإشارات التربوية بواقعنا الحاضر، وتطبيقها على الفرد والمجتمع، وتقييم ما فسد منها، ومعالجته على الوجه الصحيح.
3- ربط الإشارات التربوية المستخرجة من السورة بأحدث ما توصل إليه علماء التربية.
4- بيان مكارم الأخلاق في معاملة المسلمين بعضهم لبعض، ومعاملة المسلمين لغيرهم في بلاد

الإسلام، وإظهار القيم المجتمعية فيما بينهم.

5- التأكيد على أنه لا مخرج للأمة الإسلامية من تيهها إلا بالعودة الصادقة إلى الله ، والتوبة النصوح عما اقترفته من تقصير في حق الله ، وفي حق نفسها، سواء على المستوى الفردي أو الجمعي.

9-تطبيق هذه الإشارات التربوية في الميدان التربوي، وبيان كيفية الاستفادة منها.

10-استنباط الحلول لمعالجة مشكلات الأمة من خلال كتاب الله.

أهمية وأسباب اختيار البحث:

ترجع أهمية هذا البحث وأسباب اختياره إلى عدَّة أمور:

1) من حيث متعلقه: حيث إنه يتعلق بأشرف العلوم وأجل الكتب، وهو القرآن الكريم.

2) من حيث مضمونه: وذلك لاحتوائه على جملة من الإشارات القرآنية التربوية التي هي بحاجة ماسة وتفتقر إليها الأمة الإسلامية لمعالجة كثير من المشاكل الفكرية والاجتماعية والخلقية المتشابكة، والتي لا يمكن علاجها إلا بالرجوع إلى كتاب الله وجعله منهاجًا ربانيًا في أمورنا عامة وفي التربية خاصة، فهو كتاب الهداية ومنهج الحياة، به صلاح أمر البشرية في الدنيا والآخرة.

3) كما تظهر أهمية البحث من خلال منهجه: إذ إنه يعتمد على منهج التفسير الموضوعي لسورة واحدة، والتركيز على المحاور التي تدلُّ عليها السورة، وكيف تدلُّ تلك المحاور على الإشارات التربوية.

4) إن دراسة سورة التوبة وما تضمنته من مواقف تربوية وحوارات ونقاشات تمثلت في الصبر على الدعوة إلى الله وفنون التعامل مع الآخرين بما فيهم المنافقون والمشركون وأهل الكتاب، ووضع قانون العدالة والعلاقات العامة للمسلمين بينهم وبين المشركين عمومًا وأهل الكتاب خصوصًا.

5) إن دراسة سورة التوبة وما تحتويه على مواقف تربوية تظهر من خلال علاقة النبي صلى الله عليه وسلم وربه، وعلاقته وأصحابه، وعلاقته وقومه... وما دار في كل المواقف من حوارات ونقاشات ومناظرات، اتسمت بالأدب الجم والخلق الكريم من النبي ، يمكن أن يستخرج منها إشارات تربوية رائعة، وأن تكون أصلًا لعلوم إنسانية كثيرة، ونبراسًا لعلماء التربية والاجتماع والنفس لتأصيل علومهم على أساسها.

6) التربية من أهداف بعثة الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام-، وهي تقوم جنبًا إلى جنب مع التعليم من قِبَلِهم.

7) بيان علو مكانة الرسول والتعرف على صفات القائد والمربي الناجح من خلال سورة التوبة.

منهج البحث:

بالنظر إلى موضوع الدراسة؛ فإن الباحث يرى أن المنهج المناسب الذي يعتمد عليه البحث هو المنهج الوصفي (الاستنباطي- التحليلي) في تحقيق أهداف هذه الرسالة، ويعرف المنهج الاستنباطي في ميدان التربية بأنه: "الطريقة التي يقوم الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"[7].

أما المنهج التحليلي : "فهو المنهج الذي يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا" [8]، فمن خلال هذين المنهجين قام الباحث بتحليل ودراسة بعض الآيات في سورة التوبة معتمدًا ذلك على أقوال العلماء والمفسرين ، والتوصل من خلال ذلك إلى استنباط بعض الإشارات التربوية من السورة، ثم بيان آثارها التربوية الناتجة عن تطبيقها، وتنظيمها، وتبويبها، حسب الجوانب التي احتوت عليها السورة.

إجراءات البحث:

1) الالتزام بمنهج التفسير الموضوعي في البحث من خلال سورة التوبة.
2) تفصيل الإشارات التربوية المستنبطة من هذه السورة مع الحرص على جمع أطراف هذا الموضوع.
3) ذكر الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الإشارة التربوية المستنبطة من هذه السورة..
4) دراسة آيات السورة دراسة موضوعية من أمهات كتب التفسير.
5) كتابة الآية القرآنية حسب خط مصحف المدينة المنورة، مع عزو الآيات الواردة، بذكر السورة ورقم الآية في المتن.
6) توثيق المصادر والمراجع في الحواشي، مبتدئًا باسم الشهرة للمؤلف مع اسمه ، ثم اسم الكتاب، دون ترجمة لها، واكتفيت بالتوثيق الكامل في فهرس البحث، مبتدئًا باسم الشهرة للمؤلف حسب الحروف الأبجدية.
7) تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث, فإن كانت في الصحيحين؛ اكتفيت بورودها فيهما أو في أحدهما, وإن لم تكن في أحدهما؛ خرجتها من بقية كتب السنة وذكرت درجتها معتمدًا في ذلك على كلام المختصين من أهل الحديث المتقدمين منهم أو المتأخرين إن وجدت.
8) التعريف والترجمة المختصرة لجميع الأعلام الذين يردون في متن البحث، عدا أسماء الصحابة

---

[7] فودة حلمي محمد، وعبد الرحمن صالح، **المرشد في كتابة الأبحاث**، د.ط، (ص:42).

[8] الأنصاري، فريد ، **أبجديات البحث** ، ط1، ص96

والمشهورين من الأئمة مثل: الأئمة الأربعة، وأصحاب الكتب الستة ونحوهم، فلا أترجم لهم.

9) حرصت على نقل ما يفهم من كلام العلماء بالمعنى المقصود منه، مع مراعاة الدقة في النقل.

10) توضيح معاني الكلمات الغريبة مع الضبط بالشكل موثقًا ذلك من المعاجم المعتمدة.

11) الابتعاد عن الحشو والاستطراد والاكتفاء بالمختصر المفيد الذي يوصل إلى المقصود.

12) أذكر النتائج والتوصيات في الخاتمة.

أختم البحث بالفهارس المهمة مرتبة.

الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الكتب، والرسائل، والبحوث، التي تناولت سورة التوبة من زوايا عدة، منها:

1) "**أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة .. دراسة تحليلية** "رسالة ماجستير؛ للباحث: حسن عبد الله طه الخطيب، إشراف الدكتور عبد الكريم حمدي الدهشان، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، 1429هـ، وتهدف الدراسة إلى دراسة موضوعات السورة دراسة تحليلية واستخراج أهدافها ومقاصدها كالجهاد والغزوات والبيعة وخطورة المنافقين، كما تهدف إلى وضع قواعد لنظام اجتماعي متكامل لتنظيم العلاقات الداخلية والخارجية وبيان فضل الرسول وصفات القائد الرباني، وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستنباطي التحليلي.

2) "**المنافقون كما تحدثت عنهم سورة التوبة**"، للباحثة: زينب عبد الرحمن الدخيل، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات بالرياض 1408هـ، تهدف هذه الدراسة إلى توضيح أوصاف المنافقين في سورة التوبة، باعتبار أن هذه السورة قد كشفت أكثر من غيرها عن طبيعتهم ووضعهم في المجتمع المسلم، كما تهدف الدراسة إلى بيان الوسائل التي يُتقى بها خطر المنافقين على ضوء ما جاء في سورة التوبة.

3) "**مسائل العقيدة في سورة التوبة**"، رسالة ماجستير للباحثة: شريفة مصلح السنيدي تحت إشراف الدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، عام 1415هـ، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تهدف الدراسة إلى استخراج المسائل العقائدية من السورة، حيث تطرقت السورة للملل والنحل، فبدراستها وضحت أحكام هذه الملل والطوائف وكيفية التعامل الصحيح معها.

4) "**أحكام القتال في سورة التوبة بين الدراية والرواية وحكم الاستعانة بغير المسلمين**"، رسالة ماجستير؛ للباحث: ضروف فريد، تحت إشراف الدكتور: السيد سيد أحمد نجم، جامعة المدينة العالمية 1432هـ، حيث تهدف الدراسة إلى استخراج أحكام القتال من السورة،

وإبراز الشوائب التي اختلطت بتفسير آيات الأحكام من سورة التوبة المتعلقة بالقتال، كما تهدف إلى إبراز أهمية آيات الأحكام، وإبراز دور العقل في استنباط الأحكام الشرعية منها.

5) "**أنماط الشخصية وسماتها وتقويمها في ظلال سورة التوبة–دراسة قرآنية**"، رسالة ماجستير للباحث: فريج فرج سعيد زيارة، الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية – غزة، حيث تناولت الدراسة تحليل أنماط الشخصية السوية وهي المؤمنة، وتضمنت أنماط شخصية المهاجرين والأنصار والتابعين، وغير السوية وهي الكافرة، وتضمنت نمط أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وفي نمط المشركين والمنافقين، ثم تناولت الدراسة أنماط شخصية خاصة في السورة وهي أنماط المتخلفين والأعراب، والشخصية المختلطة التي خلطت عملًا صالحًا وآخر سيئًا، ثم تحدثت الدراسة عن وسائل تقويم الشخصية السوية وغير السوية التي أوردتها السورة، وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي.

6) "**مواطن التوبة في سورة التوبة–دراسة موضوعية**"؛ للباحثة إيناس خليل خلاوي، إشراف الدكتور عبد الله حميد حسين، كلية التربية–جامعة بغداد، حيث تهدف الدراسة إلى تعريف التوبة وفضائلها وشروط تحقيقها، وجمع الآيات من السورة التي تناولت مواطن التوبة.

7) "**مواقف المنافقين من الجهاد من خلال سورة التوبة–دراسة موضوعية**"، رسالة ماجستير بجامعة المدينة العالمية – ماليزيا؛ للباحث: دورامي ياسينج جئ مه، تحت إشراف: الأستاذ المشارك الدكتور حاتم محمد منصور مزروعة، 1434هـ، حيث تهدف هذه الدراسة إلى إظهار فضل الجهاد في سبيل الله وأهميته، وفضح المنافقين وكشف مؤامراتهم وخطورتهم، وإظهار خطورة ابتعاد المسلمين عن دينهم وتشتتهم وولائهم لغير الله تعالى، وإظهار وجه الإعجاز القرآني في علاج قضايا المجتمع الإسلامي والإنساني، وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي.

8" **معالم الجهاد في سورة التوبة دراسة موضوعية**"، للباحث: صفوان حاج إسماعيل عبد الله، إشراف الدكتور عبد الرحيم أحمد الزقة، ماجستير، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت– الأردن، حيث تحدثت الدراسة عن معالم الجهاد في قتال المشركين ومتى يجب الكف عن قتالهم، ثم تناولت أحكام قتال أهل الكتاب، كما تناولت معالم جهاد المنافقين، ثم تكلمت عن المعاني الجهادية حيث بينت مكانة الجهاد في السورة وثواب المجاهدين، وقد سلك الباحث في دراسته المنهج الإستقرائي.

وبمقارنة الدراسات السابقة بالبحث الحالي وجد الباحث أن الدراسات السابقة لسورة التوبة تحدثت عن أمور تجتمع في ثلاثة محاور:

الأول: ما تناول موضوع السورة بشكل عام، وذكر الأهداف والمقاصد والمواضيع العامة التي تناولتها

السورة ضمن دراسة قرآنية تحليلية متكاملة.

الثاني: ما تناول موضوعًا معينًا أو جزءًا من موضوعات السورة، كمسائل العقيدة، وأحكام الجهاد ومعالمه، وتفصيل أحكام القتال والتوبة وفضائلها.

الثالث: ما تناول صفات فئة معينة من السورة، كصفات المنافقين ومواقفهم من الجهاد وكشف أسرارهم، والوسائل التي يُتَقى بها خطرهم، وعلاقات المسلمين بغيرهم، وأنماط الشخصية السوية وغير السوية ووسائل تقويمها.

ففي الدراسات السابقة لم تتناول المضامين والإشارات التربوية التي اشتملت عليها السورة ومدى أثر تطبيقها على الفرد والمجتمع،

بينما البحث الحالي يهدف بعناية إلى استنباط الإشارات التربوية في سورة التوبة، ومحاولة استخراج كل ما هو مفيد وجديد في إطار دراسة موضوعية تطبيقية شاملة ومتكاملة لموضوعات السورة في مجال التربية، حيث إن هذا البحث ركز على الإشارات التربوية لهذه السورة المباركة مع استخلاص الدروس والنتائج والعبر المستفادة منها، ثم ذكر الآثار التربوية الناتجة عن تطبيقها وأثرها على الفرد والمجتمع، والتي من الممكن أن ننتفع بها في حياتنا العلمية والعملية.

الإشارات التربوية في سورة التوبة في جانب الأخلاق

المطلب الأول

الوفاء بالعهد والنهي عن نقض العهود

الفرع الأول: أهمية الوفاء من خلال السورة:

للوفاء بالعهود قيمة أخلاقية وإنسانية عظيمة، لأنه يرسي دائم الثقة بين الأفراد، ويعزز مبدأ التعاون في أوساط المجتمع، فالناس مضطرون إلى التعاون فيما بينهم، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش، فهو من أسس بناء المجتمع واستقامة الحياة، فقد جعله الله من الفضائل الخلقية التي يتحلى بها المؤمنون؛ وذلك لأهميته في حياة الفرد والمجتمع، وجعل نقض العهد من الرذائل الخلقية التي يتصف بها الكفار والمنافقون، لخطره على حياة الفرد والمجتمع، فـ "الوفاء: أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، وذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معًا، والغدر كذب بهما، لأن فيه مع الكذب نقض العهد"[9].

فسورة التوبة قد بينت هذه الخصلة الحميدة، وذكرت أهميتها في حياة الفرد والمجتمع، حيث ذُكِرت في

---

[9] الراغب الأصفهاني، **الحسين بن محمد ، الذريعة إلى مكارم الشريعة** ، د. ط، (ص:209).

السورة في عدة صور مختلفة، منها:

1- الوفاء بالعهد من صفات الله فهو أحق أن يتصف به، فهو سبحانه لا يخلف الميعاد، فقد ذُكِر وعد الله في عدة مواضع[10]، منها: **قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: من الآية 10] ، أي: " لا أحد أحسن وأعظم وفاءً بما عاهد عليه من الله ، فإنه صادق لا يخلف الميعاد"[11].

2- الوفاء من صفات الأنبياء والمرسلين، فقد وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بالوفاء في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[النجم:37] ، بل من وفائه كما بينت السورة في ذكر موقفه مع أبيه، بأنه ما وقع من استغفاره لأبيه إلا إيفاء بوعده لأبيه بأنه سيستغفر له، **قال تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيم﴾[التوبة:114] ، والوعد الذي وعد أباه إياه وذلك **في قوله تعالى:** ﴿قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[مريم:47] ، فورثه من بعده ابنه اسماعيل، فقال : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[مريم:54] .

3- وجوب الوفاء بالعهد، فهو من علامات المتقين الذين يحبهم الله، **قال تعالى:** ﴿فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِين﴾[التوبة:من الآية :4]، "أي: من وفى بعهده منهم فأدوا إليهم العهد تامًا كاملًا إلى تمام مدتهم، فالله يحب المتقين الموفين بعهدهم"[12]، **قال تعالى:** ﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِين﴾[التوبة: من الآية 7] ، "فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على الوفاء، فإن الله يحب من اتقاه فوفى بعهده لمن عاهده"[13].

4- وفي المقابل إخلاف الوعد ونقض العهد من صفات المنافقين التي يجب الحذر منها، **قال تعالى** : ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُون﴾[التوبة:77] ،

---

[10] القرآن، التوبة، الآيات: (68، 72، 111).

[11] انظر: الطبري، **محمد بن جرير، جامع البيان**، ط1، (498/14)، وابن عطية، عبد الحق بن محمد، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط1، (87/3)، وابن كثير،إسماعيل **تفسير القرآن العظيم**، ط2، (218/4).

[12] انظر: سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ط6، (2226/4).

[13] ابن عادل، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، (23/10-24).

قال الرازي رحمه الله: "ظاهر هذه الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه، فإذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به"[14].

5- وجوب قتال المشركين والتبرؤ منهم ممن نقضوا العهد ونكثوا الأيمان، فقد بينت الآية الكريمة ذلك،

قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[التوبة:12]، "أي: نقضوا الأيمان وحلوها، فقاتلوكم أو أعانوا على قتالكم، أو نقصوكم، وعابوا دينكم وسخروا منه، فحينئذ يجب قتالهم"[15].

أما البراءة منهم، **قال تعالى:** ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[التوبة:1]، مما يعني قطع العلاقة معهم إذا لم يلتزموا العهد الذي قطعوه على أنفسهم مع المسلمين، "قال المفسرون: والبراءة هاهنا: قطع الموالاة، وارتفاع العصمة، وزوال الأمان"[16].

6- أعظم عهد يجب الوفاء به هو العهد الذي يرتبط به العبد بالله ، ولذا كانت عقوبة من نقض العهد فيما بينه وبين الله بالخسران المبين والخاتمة السيئة، بل جعل الله عاقبة أمره نفاقًا كائنًا في قلبه متمكنًا منه مستمرًا إلى يوم القيامة –والعياذ بالله–، **قال تعالى:** ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٥ – ٧٧)، "فهذا بيان عما يوجبه الكذب مع إخلاف الوعد من النفاق، فمن أخلف في المواثيق مع الله فقد تعرض للنفاق، وكان جزاؤه من الله إفساد قلبه بما يكسبه النفاق، فيموت على ذلك"[17].

الفرع الثاني: الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الوفاء بالعهد:

1- تحقيق الإيمان الصادق والثبات عليه: فإذا وفى العبد بالعهد الذي بينه وبين الله ، بأن يعبده لا يشرك به شيئًا، كتب الله في قلبه الإيمان وثبته عليه حتى يلقاه، مهما تعرض للشدائد أو

---

[14] الرازي، فخر الدين، **مفاتيح الغيب**، ط3، (109/16).

[15] انظر: السعدي، **عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، (ص:330).

[16] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ط1، (233/2).

[17] الواحدي، **علي بن أحمد، التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، ط1، (564/10-565).

المحن، **قال تعالى**: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:23]

2- انتشار الثقة والمحبة بين الناس وقضاء حوائج الناس بيسر وسهولة: إن الإنسان لا يستطيع أن يستغني عن الناس؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش لوحده، فهو يحتاجهم وهم يحتاجونه، يعاملهم ويتعامل معهم، يستدين منهم ويدينهم، فكلٌ مكمل للآخر، فإذا كان من الأوفياء بعهودهم حصل على حاجته بيسر، وإذا كان معروفًا بغدره وإخلاف وعده لم يحصل على مبتغاه، فكلٌ امتنع عن قضاء حاجة الآخر لعدم وجود الثقة بينهم.

3- تحقيق التقوى ونيل محبة الله بذلك: **قال تعالى**: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:من الآية :4].

4- مضاعفة الأجر والجزاء الحسن: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: من الآية 10]، فبقدر الوفاء يعظم الأجر والثواب الحسن.

5- السلامة من النفاق: فنقض العهد وإخلاف الوعد من صفات المنافقين[18]، لأن المنافق غادر لا عهد له، وخائن لا أمانة له، وكاذب غير صادق فيما يقوله.

6- نيلهم الفردوس الأعلى من الجنة، فذكر الله أن من صفات المؤمنين الوفاء بالعهد، **قال تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:8] ثم بين جزاءهم ومثواهم، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ **فِي** الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠ – ١١).

7- حصول الأمن وحقن الدماء بين المسلمين: فإذا التزم كل إنسان بالوفاء بالعهد، أَمِن الناس على أموالهم ودمائهم، وساد المجتمع الأمن والأمان، وانتشر الخير، وانقضى الشر، بل يشمل ذلك حتى الكافر الذي يطارده المسلمون، فإذا لجأ إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، فإنه يدخل تحت حكمهم، فيعصم دمه وماله ويوضع حدًا لطلبه، وما أصاب الأمة في عصرنا من سفك للدماء وضياع الأمن في بلاد المسلمين، إلا بسبب تضييعهم للأمانة التي على عاتقهم، وانتشار الغدر والخيانة بين أوساط المجتمع.

---

[18] **القرآن**، التوبة، الايتين: (76-77).

المطلب الثاني

الصدق منجاة والكذب مهلكة

الفرع الأول: أهمية الصدق من خلال السورة:

إن خلق الصدق من الأخلاق الحميدة التي حرص الإسلام عليها، فله منزلة ومكانة عظيمة، فهو من أسس الأخلاق وأصولها، يقول ابن القيم رحمه الله: "والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر"[19]، ولأهميته فقد وصف الله نفسه به، **قال تعالى:** ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: من الآية ٨٧)، بل هو من أهم الصفات التي امتدح الله بها الأنبياء والمرسلين، فقد امتدح الله به إبراهيم عليه السلام، **قال تعالى:** ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[مريم:41] ، وامتدح به يوسف عليه السلام، **قال تعالى:** ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ (يوسف: من الآية٤٦)، بل كان الصدق من الصفات الحميدة التي اتصف بها النبي ، فقد كان يُسمَى بالصادق الأمين، تقول عنه خديجة رضي الله عنها : «كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق »[20] ، بل وصفت الملائكة نفسها بالصدق حين بلغوا رسالة ربهم لنبي الله لوط عليه السلام، **قال تعالى:** ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحِجر:64]

بل الصدق منجاة يوم القيامة، فأخبر الله أنه لا ينفع العبد ولا ينجيه يوم القيامة إلا صدقه، **قال تعالى:** ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ﴾ [المائدة:119] .

أما سورة التوبة فقد بينت أهمية الصدق وفضله، وخطر الكذب وأضراره في عدة مواضع، منها:

إن الله أمر المؤمنين بصحبة الصادقين، لما في ذلك من الآثار الحسنة، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119]، دلت الآية على فضل الصدق وكمال درجته ورفعة صاحبه.

إن الصدق من صفات المؤمنين المخلصين، وإن الكذب من صفات المنافقين، ولذا بين الله حال الفريقين في السورة، فأما الصادقون فهم يلبون نداء الله ورسوله بكل شوق ورغبة، بل من صدقهم

---

[19] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين**، ط3، (258/2).

[20] متفق عليه ، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل ، **في الصحيح** ، كتاب تفسير القرآن ، باب في قوله : ماودعك ربك وما قلى، 6/ 173، برقم (4953). ومسلم، **في الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، (139/1)، رقم (160).

وإخلاصهم لله كما قال الله عنهم: ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُون ﴾[التوبة:من الآية 92] و**قال تعالى**: ﴿ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾[التوبة: من الآية 120] ، و**قال تعالى**: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾[التوبة:من الآية 99]، بل من علامات صدقهم أنهم باعوا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله ، **قال تعالى**: ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾[التوبة: من الآية :111] ، وغير ذلك من الآيات التي تناولتها السورة وبينت صدق المؤمنين في قولهم وفعلهم ونيتهم، أما حال المنافقين فهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، دائمًا يختلقون الأعذار الكاذبة، فغايتهم المنافع الدنيوية الزائلة، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُون ﴾[التوبة:42] .

بل من علامات كذبهم أنهم يتظاهرون بفعل الخير وأنهم من أهل الصدق والتقوى والصلاح، لكنهم في الحقيقة خلاف ذلك، **قال تعالى**: ﴿ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُون ﴾[التوبة: من الآية107]

الصدق منجاة والكذب مهلكة، ففي قصة الثلاثة الذين خلفوا يظهر فيها فضل الصدق، ومقدار تعلق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة بذلك، فالصدق نجاة والكذب مهلكة، فبصدقهم رفع الله منزلتهم، ومنَّ عليهم بتوبته، **قال تعالى**: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾[التوبة:118] ، فالصدق نجاة لصاحبه من عقوبة الدنيا والآخرة، فمن خلال قصة الثلاثة الذين خلفوا تبين أن الإيمان والتقوى والصدق سبب نجاتهم من العقوبة الإلهية، ونزول الرحمات عليهم، وقبول توبتهم من ربهم ، وامتدحهم بأنهم صادقون في أفعالهم وأقوالهم، بل أمر المؤمنين بأن يحذوا حذوهم[21]، أما المنافقون فقد بين الله أن كذبهم هو سبب هلاكهم في الدنيا والآخرة،"يقول كعب بن مالك: فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا –حين أنزل الوحي– شر ما قال لأحد، **فقال تعالى**: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ

[21]القرآن، التوبة، الآية: 119.

جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون﴾ [التوبة:95]"[22].

الصدق يكشف الحقائق، **قال تعالى:** ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾ [التوبة:16]، يقول السعدي رحمه الله: "شرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله ، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين"[23].

الفرع الثاني: الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصدق:

1- الصدق طريق إلى الجنة: عن عبدالله عن النبي قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا »[24].

2-الصدق نجاة للعبد من مصائب الدنيا والآخرة، **قال تعالى:** ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾ [المائدة:119] ، فما نجا أحد إلا بصدقه، وما هلك أحد إلا بكذبه وخداعه، فقد نجا الله الثلاثة الذين خلفوا بسبب صدقهم، ولذا أمر المؤمنين بذلك، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين﴾ [التوبة:119]، "أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا" [25].

الصدق ينشئ في النفس الطمأنينة ويبعث في القلب الراحة والرضا الكامل ويزيل الهموم، فالإنسان

---

[22]متفق عليه، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل ، في **الصحيح**، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله تعالى: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)، (3/6)، برقم (4418)، ومسلم، في **الصحيح**، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (2120/4)، برقم (2769).

[23]السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، (ص331).

[24]متفق عليه، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل ، في **الصحيح**، كتاب الأدب، باب يا أيها الذين آمنو اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، (25/8)، برقم (6094)، ومسلم، في **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وأهله، (2012/4)، برقم (2607).

[25]ابن كثير،إماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، (230/4).

الصادق لا يعبأ بأي شيء ولا يهتم ولا يخاف ولا يخشى أحدًا إلا الله ، فكل عمل يقوم به هو إرضاء الله ، **قال تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:من الآية 62] ، وكما قال النبي للحسن بن علي –رضي الله عنهما– : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»[26]، الصدق مع النفس ومع الله يؤدي إلى الطمأنينة والهدوء النفسي، والكذب يؤدي إلى الشك وبلبلة النفس وعذاب الضمير.

3- الصدق يجلب محبة الناس وثقتهم وتقديرهم للصادق، فإن من اتصف بالصدق في جميع أحواله، كان محبوبًا عند الناس، وارتفع شأنه، فإذا تكلم أنصت له الجميع، واذا أراد التعامل مع أحد تسابق له الجميع؛ لأن الكل يأمنه ولا يخافه، على خلاف الكذاب فهو يجني على نفسه قبل أن يجني على غيره، لا سيما إذا تحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا في السماء والأرض، فتراه يعيش بين الناس ذليلًا منبوذًا مطرودًا عند الله وخلقه، "ومن صدق فى حديثه مخاطبًا أو مجيبًا وآمرًا وناهيًا وتاليًا وذاكرًا ومعطيًا وآخذًا وكان عند الله وعند الناس صادقًا محبوبًا مكرمًا موثوقًا به؛ شهادته بر، وحكمه عدل، ومعاملته نفع، ومجالسته بركة"[27].

4- نجاح الأمم في أداء أعمالها ومهمتها، ورقيها بين سائر الأمم يرجع إلى ما يقوم به أبناؤها من أعمال صادقة في جميع معاملاتهم، فبصدقهم يستطيعون أن يؤدوا كل مهامهم بإتقان وإبداع، فإن لم يصدقوا في ذلك كان مآلها إلى السقوط والرجعية.

5- الصدق سبب من أسباب البركة في الأرزاق: «فعن حكيم بن حزام ﷺ قال: قال رسول الله: " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، – أو قال: حتى يتفرقا – فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما »[28].

---

[26]أخرجه أحمد في ، **المسند**، (252/3) رقم (1727)، والترمذي، محمد بن عيسى، في **السنن**، كتاب صفة القيامة (668/4) رقم (2518)، وقال: هذا حديث صحيح، والحاكم، محمد بن عبد الله، في **المستدرك**، كتاب الأحكام ، (110/4) رقم (7046)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في **السنن الكبرى** ، كتاب البيوع ، باب كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا (234/11) برقم (10921) ، والبزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو ، في **المسند** ، (4 / 175)، برقم (1336)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، في **إرواء الغليل** (44/1) رقم (12) عن الحسن بن علي.

[27]االبيحاني، محمد سالم، **اللمع على إصلاح المجتمع**، د.ط ، (ص114).

[28]متفق عليه، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل ، في **الصحيح**، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، (58/3)، برقم (2079)، ومسلم، في **الصحيح**، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، (1164/3)، برقم (1532).

6- الصدق يقوم بدور هام في تحقيق الأمن والأمان والاستقرار وغياب المشاكل والجرائم والخلافات في المجتمع.

المطلب الثالث

الأخوة الصالحة من خلال السورة

الفرع الأول: روابط الأخوة الإسلامية من خلال السورة:

للأخوة الإسلامية مكانة عظيمة في الإسلام لكونها تمثل المجتمع الإسلامي الواحد، فالأخوة الحقيقية هي أخوة الدين، فلو تأملنا كتاب الله ، لوجدنا اهتمامه بهذا المبدأ العظيم في العديد من سوره، بما في ذلك سورة التوبة، فقد بينت السورة مكانة هذا المبدأ في عدة مواضع، منها:

أولًا: (أن يحب المرء لا يحبه إلا لله)، "أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب"[29]، **قال تعالى**: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾[التوبة:11] ، أي: "هم حينئذٍ إخوانكم في الدين لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم، وبهذه الأخوة يهدم كل ما كان بينكم وبينهم من عداوة، وهذه الأخوة أول مزية دنيوية للإسلام، فإن المشركين كانوا محرومين من هذه الأخوة العظيمة، بعضهم حرب لبعض في كل وقت إلا ما يكون من عهد أو جوار قلما يفي به القوي للضعيف دائما"[30]، فأخوة الدين كما في الآية هي أوثق من أخوة النسب، لأن أخوة النسب قد يختلف مقتضاها، فيكون أقرب الناس لك أشد عداوة لك، أما أخوة الدين فإنها أخوة ثابتة راسخة في الدنيا وفي الآخرة، تنفع الإنسان في حياته وبعد مماته، ولذا نهى الله عن موالاة الكفار ولو كانوا أولي قربى،

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾[التوبة:23]، قال سيد قطب رحمه الله: "وهكذا تتقطع أواصر الدم والنسب، إذا انقطعت آصرة القلب والعقيدة، وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله تعالى، فلله الولاية الأولى، وفيها ترتبط البشرية جميعًا، فإذا لم تكن فلا ولاية بعد ذلك، والحبل مقطوع والعروة منقوضة"[31].

---

[29] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، (323/16).

[30] محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، د. ط، (169/10)، بتصرف يسير.

[31] سيد قطب، إبراهيم حسين ، **في ظلال القرآن**، ط 17، (1615/3).

ثانيًا: الصحبة الصالحة سبيل النجاة والسعادة: لأن الصالحين يعينون ويشجعون من يصحبهم على الخير، فهم إذا نسيت ذكروك، وإذا ذكرت أعانوك، **قال تعالى:** ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة: من الآية 40]

، "أنه كان هو الذي يسلي صاحبه ويثبته لا أنه كان يتثبت به"[32]، فهنا ظهر فضل الصحبة الصالحة، حيث قام بتثبيت صاحبه وطمأنته في وقت الشدة، وكان عونًا له بعد الله في زرع الثقة وحقيقة التوكل على الله.

ثالثًا: إن المؤمنين قلوبهم متحدة في التواد والتعاطف والمحبة، يجمعهم في ذلك الإيمان: **قال تعالى:** ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[التوبة:71]، "أي: أن المومنين والمؤمنات بعضهم أنصار بعض، وأولياء بعض، متحابون في الله ، متعاطفون غير متفرقين"[33].

رابعًا: الصدق:"ألا ترى أن الصديق اختار صحبة محمد فلزمه في الدنيا، وفي القبر، وفي القيامة، وفي الجنة إن شاء الله، وأن كلبًا صحب أصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا، وفي الآخرة، ولهذا السر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين﴾[التوبة:119]"[34]، يقول القرطبي رحمه الله: "هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين"[35].

خامسًا: النصرة بالمال والنفس: **قال تعالى:** ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ ﴾ [التوبة: من الآية 40].

سادسًا: أخذ العلم من الصاحب والتواضع في أخذه: إن صحبة العالم تزيد الشخص خشية ورفعة، وتحفظ العبد من فتن الشبهات والشهوات، فالعلم سلاح فتاك، **قال تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون﴾[التوبة:122]، "فالمراد هنا بالتفقه في الدين هو أن يتعلموا ما أنزل الله على نبيهم، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم"

---

[32]محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، د. ط، (371/10).

[33]انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان**، ط1، (347/14)، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، (174/4)، والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، (ص:343).

[34]الرازي، فخر الدين ، **مفاتيح الغيب**، ط3، (235/1).

[35]القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد ، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، (288/8).

[36]، فهذه رسالة الإسلام صحبة العلماء والفقهاء وتعلم العلم وتعليمه، لأن العلم نور العبد في دنياه وآخرته، وبه يكون قادرًا على المسير قدمًا فيما يعود به النفع.

سابعًا: الدعاء: من فضائل الصحبة الصالحة أنهم لن ينسوك من الدعاء، ولهذا تناولت سورة التوبة ذلك، **قال تعالى:** ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾[التوبة: من الآية 103]، "وقد اتفق المفسرون أن المراد بالصلاة هنا هو الدعاء"[37]، ولذا مدح الله في السورة لمن كان الدعاء سجيته، **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيم﴾[التوبة: من الآية 114] ، أي:"إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان كثير الدعاء والتضرع لله ، صابرًا على أذى الناس له، ذو رحمة بهم، يصفح عما يصدر منهم إليه"[38].

"يقول كعب: رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفورًا له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله فقام أحدهما يصلي فرد الله صلاته، ودعاه فلم يرد عليه من دعائه شيئًا، فذكر أخاه في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له، فغفر له وهو نائم"[39].

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أن الأخوة الإسلامية هي في جوهرها مبدأٌ من مبادئ الإسلام، تقرر وترسخ بآيات القرآن الصريحة، فأخوة الإسلام فريضة شرعية، تجب إقامتها وصيانتها، ورعاية حقوقها وواجباتها التي ألزم الله بها أهلها نحو بعضهم البعض.

---

[36] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، (236/4).

[37] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، (207/4).

[38] انظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، (473/2)، وابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط1، (91/3-92)، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، (158/16)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، (276/8)،

[39] ابن وهب، عبد الله ، **الجامع في الحديث**، ط1، (ص:248).

الفرع الثاني: الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق مبدأ الأخوة في الله:

1- الأخوة في الله نعمة عظيمة، ومنحة ربانية، ومنة إلهية ثمينة، أكرم الله بها أمة محمد ، فهو يهبها عباده المخلصين الصادقين، **قال تعالى:** ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:103] .

2- الأخوة طريق محبة الله للعبد، (فقد أثبتت النصوص أن محبة الله تتحصل بمحبة الأخوان وحسن عشرتهم ومواساتهم، والتزاور فيما بينهم، «كما ورد في قصة الذي زار أخًا له في الله فكان رد الملك له: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته»[40].

3- ينال الأمن والسرور يوم القيامة، فالأخوة الخالصة لوجه الله الكريم، توجب للأخوة المؤمنين الجنةَ في الحياة الآخرة؛ لأنهم قد صنعوها بأخلاقهم في الحياة الدنيا.

4- يتذوق حلاوة الإيمان ويعيش عيش السعداء ويزداد إيمان العبد.

5- حسن الخاتمة والثبات على الحق حتى الممات، ولذا بين الله أن من علامات سوء الخاتمة الرفقة السيئة، لأنهم أضلوه وصرفوه عن الذكر والطاعة، فمات على ذلك

6- ترسيخ التكافل في المجتمع الإسلامي، فالمسلم حين يشعر بأنه أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، وأنه لايؤمن حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وحين يشعر مع إخوانه بأنهم كالجسد الواحد في الآمال والآلام، فحين يشعر بهذه المعاني الأخوية فإنه يندفع بكل وجدانه إلى تحقيق التعاون والتكافل والإيثار والتراحم تجاه إخوانه.

7- تحقيق الوحدة الإسلامية المتماسكة: فكل رابطة تدعو إلى رابطة الجنس أو النسب أو المصلحة المشتركة، فهي دعوى جاهلية، كما ورد ذلك في السورة[41]، فالآية تدل أن من قدم أي رابطة من الروابط السابقة على رابطة الإسلام فقد زاغ وضل واستحق عذاب الله ، فشعار الإسلام الدائم الذي لا يتبدل والثابت الذي لا يتغير هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحُجُرات: من الآية 10].

7-سبب لتحقيق نصر الله الموعود وانتشار الإسلام في شتى أرجاء المعمورة، فبالأخوة قامت دولة الإسلام ودان لها الشرق والغرب، وبالأخوة الإسلامية تحقق نصر الله لعباده الموحدين،

---

[40]انظر: مسلم، في **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب ، باب في فضل الحب في الله ، (1988/4)، (رقم 2567).

[41]القرآن، سورة التوبة، الآية: (24).

حتى وصل المسلمون إلى آخر الغرب، فالأخوة مصدر القوة والشجاعة والبطولة، ولذا نهى الله عن كل ما يضعف هذه القوة، **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال:من الآية46]

9- الوقاية من الأمراض الفردية التي تنعكس على المجتمع: فالأخوة في الإسلام تضمن للمؤمنين – الذين يعملون بحقها– الوقايةَ من جميع الأمراض الداخلية التي قد تعتري النفوس، كالكره، والبغض، والحسد، والغلظة، والتلاعن، والاستعلاء، وغيرها من هذه الأمراض الفردية، التي قد تنعكس على المجتمعات الإنسانية وتدعوها إلى الانحطاط والتراجع؛ وذلك لأن الأخوة المؤمنين من الطبيعي أن يأتمروا بأوامر الله ورسوله وينتهوا به.

المطلب الرابع

الطهارة المعنوية والحسية

الفرع الأول: أهمية الطهارة من خلال السورة:

لقد عني القرآن بأهمية الطهارة الحسية والمعنوية، واهتم بطهارة الظاهر والباطن، فالطهارة من أهم الأمور في حياتنا الدينية والدنيوية، ليس ذلك إلا لأنها تشمل جميع نواحي حياتنا، فهي شطر الإيمان، فقد أمرنا الله في كتابه الكريم بالتطهر والتزين في مواطن كثيرة، حيث تكرر في القرآن الكريم تأكيد الله على قيمة الطهارة الحسية وأهميتها، كأن نأخذها عند الصلاة وعند الاغتسال والطواف وأمور أخرى، كما تناول القرآن أهمية طهارة القلب من الشرك والنفاق والشح والحسد والمعاصي وكل ما ران عليه، ولذا فقد تناولت سورة التوبة هذه الصفة الحميدة المباركة بأنواعها في عدة مواضع في السورة، منها:

أولًا: الطهارة المعنوية: وهي طهارة القلب من الشرك والمعاصي والآثام، فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾[التوبة:103]

فجاءت الطهارة هنا بمعنى الطهارة من الذنوب والآثام، فالصدقة هنا كفارة للذنوب التي عملوها، فقوله: (تُطَهِّرُهُمْ) "أي: تطهرهم من الذنوب"[42]، فهذه الطهارة أهم من طهارة البدن، لأنه لا يمكن

[42]انظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، **بحر العلوم**، د. ط، (86/2)، والواحدي، علي بن أحمد ، **التفسير الوسيط**، ط1، (522/2).

أن تتحقق طهارة البدن مع وجود نجس الشرك، كما **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا﴾ [التوبة: من الآية 28] ، " فالنجاسة هنا صفة ملازمة لهم، وقد أنيط وصف النجاسة بهم بصفة الإشراك، فهي نجاسة معنوية نفسانية، فخباثة الاعتقاد أدنى بصاحبها إلى التحقير من قذارة الذات"[43].

بل ذم الله المنافقين وحذر منهم والجلوس معهم وذلك لخبث سرائرهم وبواطنهم،

قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[التوبة: من الآية 95]، أي: "أن خبث باطنهم رجس روحاني، فكما يجب الاحتراز عن الأرجاس الجسمانية، فوجوب الاحتراز عن الأرجاس الروحانية أولى، خوفًا من سريانها إلى الإنسان، وحذرًا من أن يميل طبع الإنسان إلى تلك الأعمال"[44].

ثانيًا: الطهارة الحسية: وهي التي تتعلق بطهارة البدن والثوب والمكان، فمن الآيات التي تناولتها السورة في ذكر هذا النوع **قوله تعالى:** ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة:108]، فالمراد بالطهارة هنا هي الطهارة من الحدث الأصغر، الذي ينقض الوضوء ويمنع صحة الصلاة، "حيث كان المؤمنون من الأنصار عند دخولهم الخلاء يجمعون بين الاستجمار بالأحجار والغسل بالماء"[45]، "فمن محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه عند عروض موجبه، يعني: من الأحداث والجنابات وسائر النجاسات؛ وهذا قول أكثر المفسرين"[46]، ويقول القرطبي رحمه الله: "أثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على من أحب الطهارة وآثر النظافة، وهي مروءة آدمية ووظيفة شرعية"[47].

الفرع الثاني: الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الطهارة:

1-الطهور مكفرًا للذنوب والخطايا، ونيل الدرجات في الجنة، فهذه الأمة تأتي يوم القيامة وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم، وليس لأحد غيرهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن

---

[43] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، د. ط، (160/10).

[44] الرازي ، فخر الدين ، **مفاتيح الغيب**، ط3، (124/16).

[45] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، د. ط، (33/11).

[46] صديق حسن خان: **فتح البيان في مقاصد القرآن**، د. ط، (399/5).

[47] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، (261/8).

رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»[48].

2-سبب لنيل محبة الله ورضوانه، فمن أطاع الله تعالى فيما أمر نال محبته ورضوانه، فالطهارة والنظافة مما أمر الله بها، فإذا حافظ المسلم على نظافة ظاهره وباطنه، حصل على محبة الله ورضاه، فمن أحبه الله ورضي عنه أدخله جنته، كما **قال تعالى:** ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:من الآية 108].

3-النشاط والحيوية وعبادة الله من غير كسل أو ملل، فالماء يعيد للجسم نشاطه وحيويته.

4-السلامة من الأمراض الروحية والنفسية والحسية، أما الروحية فالوضوء سلاح المؤمن، "يقول عمر ﷺ: إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان"[49]، ولذا استحب النوم على طهارة، فمن نام على طهاره بات الملك على شعاره، ومن المعلوم إذا حضرت الملائكة خرجت الشياطين، كذلك يستحب لمن شرع في علاج المس أن يكون على وضوء، لأنه حصن من الشيطان، فكما أن الطهارة المعنوية تحفظ العبد من الأمراض النفسية كالحسد والبخل والكبر وغيرها، وتجعله قلبًا صافيًا نقيًا؛ فكذلك الطهارة الحسية فهي تحفظ العبد من الأمراض والأسقام، فمثلًا: لو حافظ المسلم على نظافة جسمه ومطعمه ومشربه وخصال الفطرة، فإنه بإذن الله سوف يسلم من جميع الأوباء والأمراض المنتشرة والمعدية.

5- علو المكانة وزيادة الاحترام: فإن المسلم إذا كان متصفًا بالطهارة والنظافة طيب الرائحة حسن المظهر نال الاحترام والتقدير من قبل الآخرين، فإن جلس بين الناس كأنه شامة بينهم، بعكس من لم يحافظ على نظافة بدنه وجسمه، فإنه يكون منبوذًا بين الناس، غير مرغوب أو محبوب لديهم.

الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على توفيقه لإتمام هذه الرسالة، والتي عاش الباحث من خلالها مع روحانية القرآن الكريم وتدبره، وذلك من خلال تدبره واستنباطه سورة التوبة، حيث تم الوقوف على بعض آياتها المباركة، وقد توصل الباحث إلى نتائج عديدة، وسيذكر أهمها.

---

[48] مسلم، في **الصحيح**، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، (219/1)، حديث رقم (251).

[49] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، د. ط، (136/1).

أهم النتائج:

1-أوضحت الدراسة بعض الإشارات التربوية التي تضمنتها سورة التوبة في الجانب الأخلاقي، وهي: الوفاء بالعهد، والصدق، والأخوة الصادقة، والطهارة، والتي في تطبيقها نشأة مجنمع مترابط متماسك تسوده الألفة والمحبة.

2- من خلاف وقوف الباحث على آيات سورة التوبة، تبين للباحث أن سورة التوبة – رغم مافيها من شدة وغلظة على الكفار، وكشف وفضح المنافقين، لكن ورد فيها أسلوب الترغيب في الطاعة وطرق الصلاح والسعادة أكثر ، وهذا من كمال رحمة الله على هذه الأمة.

3- تعرف الباحث من خلال الدراسة على أهمية تطبيق الإشارات التربوية التي رغب فيها الشارع في سورة التوبة في الجانب الأخلاقي ، وذلك لما فيها من الأثر التربوي العظيم في تنشئة الفرد والمجتمع، وسبب سعادته في الدارين.

4- أظهرت الدراسة على ضرر بعض الصفات الذميمة التي ورد النهي عنها في السورة، ومنها: البخل والطمع، والحسد، والجبن، وأذية المسلمين، حيث أنها تؤثر في إصلاح وسعادة الأمة.

التوصيات:

1- يوصي الباحث بتنشئة الأولاد على الاعتناء بكتاب الله تلاوة وحفظًا وفهمًا وتدبرًا، والاهتمام بالسنة النبوية، والالتزام بما فيهما من المبادئ والقيم والتوجيهات التربوية، فهما سبيل السعادة والنجاة في الدارين.

2- العمل على دراسة الآيات القرآنية في سورة التوبة خاصة، وفي القرآن الكريم عامة، وبيان ما اشتملت عليه هذه الآيات من إشارات تربوية في الجانب العقدي، أو التعبدي، أو الأخلاقي، أو غيرها، والحرص على إخراجها من حيز التنظير إلى ميدان التطبيق.

3- اهتمام المؤسسات التربوية بدءًا من الأسر، والمدارس، والمساجد، وانتهاءً بوسائل الإعلام المختلفة بالقيم والإشارات التربوية المختلفة، وتوجيه الناس إلى إدراك أهميتها في حياتهم العامة والخاصة، وذلك بتربيتهم بالتحلي بها في الأقوال والأفعال في جميع الأوقات.

4- إن القرآن الكريم منهج تربوي متكامل؛ لذا نوصي الاهتمام بذكر الإشارات التربوية في منهج التفسير الذي يدرّس في مدارسنا وجامعاتنا، وغيرها من المحاضن التربوية.

فهرس المصادر والمراجع

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب الأصفهانى، **الذريعة إلى مكارم الشريعة** ، تحقيق : د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، د.ط، (القاهرة : دار السلام ، 1428هـ / 2007م).
- الألباني ، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي ، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، إشراف: زهير الشاويش، ط2، (بيروت: المكتب الإسلامي ، 1405هـ).
- الألباني ، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي ، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، د.ط، (المكتب الإسلامي).
- البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد العتكي ، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ومجموعة ، ط1، (المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، بدأت 1988م –، وانتهت 2009م).
- البيحاني ، محمد بن سالم، **اللمع على كتاب إصلاح المجتمع**، تحقيق : يحيى علي الحجوري ، د.ط، (الرياض : دار العاصمة، د.ت).
- الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، **الجامع الكبير– سنن الترمذي** ، تحقيق : أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ط2، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1395هـ / 1975م).
- الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم ، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط1، (بيروت : دار الكتب العلمية، 14411هـ / 1990م).
- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، ط1، (د.م: مؤسسة الرسالة 1421 هـ / 2001).
- الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ط3، (بيروت : دار إحياء التراث العربي،1420 هـ).
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، ط1، (بيروت: عالم الكتب، 1408هـ/1988م).

- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط1، (د.م: مؤسسة الرسالة ، 1420هـ/2000 م).
- السمرقندي، ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، **بحر العلوم** ، د.ط، (د.م: د.ن، د.ت).
- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، ط17، (بيروت، القاهرة: دار الشروق، 1412هـ).
- صديق حسن خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن** ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،د.ط، (بيروت: صيدا ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ/ 1992م).
- الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر،**جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط1، (د.م: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ / 2000 م).
- عادل ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية –، 1419 هـ/ 1998م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، د.ط، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ).
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي ، **المحرر الوجيز في تفسير العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، د.ط، (بيروت:دار المعرفة، د.ت).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين ، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي** ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، 1384هـ / 1964 م).
- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، ط3، (بيروت : دار الكتاب ، 1416هـ /

1996م).

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، (د.م، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ/ 1999م).
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، أبو الحسن، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** ، تحقيق : رسالة دكتوراه ، ط1، (السسعودية : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 14430هـ).
- الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، أبو الحسن، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** ، ط1، (بيروت : دارالكتب العلمية ، 1415هـ / 1995م).

ابن وهب ، عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري ، **الجامع في الحديث** ، تحقيق : مصطفى أبو الخير ، ط1، (الرياض : دار ابن الجوزي ، 1416هـ / 1995م).